بين الصحف والمجلات

قفلنا هذا الباب لان بعض اخواننا الصحفيين صرف غرضنا منه الى غير ماتوخيناه ولاننا كنا قد قصرناه على النقد وحده . واليوم نعود اليه لنجعله ميداناً نختارفيه من الصحف والمجلات مايروق،ونتقد مالا نوافق عليه، لنكون بذلك اقرب للنصفة، وانفع لقرائنا .

١ — مجلة المنار — فاتحة المجلد الثلاثين . مقالة مطولة فى ١٦ صفحة من القطع الكبير بقلم منشىء المنار السيد محمد رشيد رضا صاحب التفسير السلفى الاثرى المدنى العصرى الارشادى الاجتماعى السياسى — نفعنا الله بعلمه وارشاده : آمين .

المقال غير مهور بامضاء ولكنه استنتاجاً من قلم الاستاذ المسلم الكبير ، أحد اعضاء مؤتمر الخلافة . بل والاصبع الضاغط على أحد ازرار المؤتمر فى مصر ، لترن رناته فى جنبات مكة المكرمة .السيد محمد رشيدرضاً ، صاحب المنار وتليذ الاستاذ الامام ، عليهما من الله السلام . فالمقال فى مفتتح المنار وتصدير للسنة الثلاثين من سنى المجلة التى انفقتها فى جهادها المبرور فى مؤتمر الخلافة وامثال مؤتمر الخلافة وفى تجهيز كشوف النفقات التى بعثرت فى مؤتمر الخلافة . رحمه الله ورحم زماناً أغاثتنا فيه اليد المعروفة .اليد العليا صاحبة الحول والطول ، وثابت القول ، من مؤتمر الخلافة، وقصاع مؤتمر الخلافة ، وشيوخ مؤتمر الخلافة ، فعلى مؤتمر الخلافة الرحمة الواسعة، وللسيد محمد رشيد بن رضا السلفى الاثرى المدنى العصرى الارشادى الاجتماعى السياسى ، الصبر والسلوان .

ليت شعرى من للاسلام بعد أن انحلت روابطه ، وتصدعت قوائمه ، وعملت فيه يد الاتراك بالهدم ، وسامه الملحدون الخسف والهضم ، وضربت فيه معاول التخريب يحملها الزنادقة ، والغمت اسسه أيدى الملاحدة ، من للاسلام وقد تآمر عليه المستشرقون والشرقيون ،وتآزر عليه الساسة والكاتبون . من

للاسلام يمسك يده ، يقيم عثرته ، وينفض من التراب لمته ، الا السيد السلفى الأثرى المدنى العصرى الارشادى الاجتماعى السياسى محمد رشيد بن رضا ، وسيده عبد العزيز آل سعود ملك نجد والحجاز وملحقاتهما ، وملحقات ملحقاتهما ، وملحقات ملحقات ملحقاتهما ، الى ماشاء الله من الصحارى القاحلة ، والبوادى الماحلة ، والاركان الخراب ، التى لاينعق فيها بوم ولاغراب ، عليهما من الله السلام . والتجلة والتحية والاكرام

ولقد حفز السيد الى كتابه هذا المقال الفائض الجوانب المملوء بحرارة الايمان ما رأى من ماحل الرأى تنشره مجلات الملاحدة ، وتذيعه صحف الزنادقة ، وقد اختار من هذه المجلات وأصحابها ـ صاحب مجلة ومطبعة فى مصر معروف وفى حلب مجلة حديثة مثلها يظهر ان صاحبها مقلد ينقل اقوال اشهر الكتاب من ملاحدة مصر ، وقصائد شيخ ملاحدة العراق وامثالهم ويثنى عليهم وينوه بآرائهم ولكنه لايتجرأ على التصريح بكل مايصرحون به بامضائه . ومنهم احد محررى الجرائد اليومية المأجورين الذى كتب مقالات فى تقبيح النص فى الدستور المصرى على جعل الدين الرسمى للحكومة المصرية الاسلام ، وطلب أن تكون حكومة معطلة (لادينية) ومقالات فى سن قانون مدنى للاحوال الشخصية ، لايتقيد فيه بشىء من الاحكام الشرعية الاسلامية ، وقد كان من اركان محررى السياسة ويقال إن له صلة وعلاقة ببعض جمعيات اليهود . وأفراد هذه الطبقة لايدعون التدين ولايتعضون لوصفهم بالتعطيل بل منهم من يفتخر بذلك . . ـ وهؤلاء عند الاستاذ هم الطبقة الاولى من الملاحدة ، وقد وصفهم بقوله ـ « إنهم الذين سممتهم التربية الافرنجية ، وافسدتهم الآراء المادية ، وخنثهم الاسراف فى الشهوات البدنية » ـ وقد نسى الاستاذ ـ بيض الله وجهه وأعلى كعبه ـ أن يضم اليهم أنصارهم وأنصار أنصارهم ، وتلطف فلم ينزل عليهم اللعنة الابدية ، ولم يفصلهم عن حظيرة الاسلام ولم يطردهم من الجنة ، وهذا اقصى مايصل اليه رجل ثقفته علوم الشرع ونزهه الايمان ، عن أن يحتل مركز الديان ، فللاستاذ من هؤلاء جميعاً الشكر والمنة ، تنقلها اليه عنهم تطوعا . ومن رائق آداب الاستاذ انه لم ينعتهم بسوى انهم المسممون المخنثون . و والله إن هذا لمنتهى الكرم ، وأسمى منازل الادب

والفضيلة . كيف لا و الاستاذ من ورثة النبي العربي الامي القائل - « إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » . ؟

وما أحلى قول الاستاذ وأسمى أدبه اذ يقول :

« ومما ثبت عندنا بالخبر المستفيض ، والخبر الطويل العريض ، أن من أفراد اولئك الملاحدة دعاة للكفر ، وسعاة للصد عن الاسلام ، وأن منهم من يأخذ على ذلك جعلا من جمعيات التبشير النصرانية و منهم من يتقاضى مكافأة من بعض جماعات اليهود البلشفية أو الصهيونية ومنهم من يخدم الدول الاستعمارية و يأخذ أجره منها ، و أعظم هذه الاجور المناصب والوظائف فى البلاد المسيطرة عليها ، ومنهم من لذته فى ذلك التشبه ببعض فلاسفة الافرنج وكتابهم الاحرار والحظوة عندهم ، والثناء عليهم فى كتبهم وصحفهم وهم لايثنون إلا من كانوا عونا لهم على أقوامهم » (حفظ الله أستاذنا السيد رشيد رضا من مدحهم وحوطه برعايته) .

بل نعوذ الاستاذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر حاسد اذا حسد .

وقد تحفظ الاستاذ فى هذا الكلام كل تحفظ فلم يذكر اسما ولا اشار الى شخص فهو انما يناهز فكرة و يجالد مبدأ . دفاعا عن الاسلام وعن حظيرة المسلمين، حذر ان يجابهه احد هؤلاء الملاحدة وجلهم (مكشوف الوجه) بعلاقته بابن السعود الذى هدم القبور و بعثرها واغتصب الارث القديم من اولاد النبى ، وتربع على عرش الرمال يقطع مفاوزها على الصادر والوارد ، والذاهب والعائد ، و يجبي جباية ملكه من الحادى والبادى ، والرائح والغادى . خشى الاستاذ الحكيم أن يتخذ احد هؤلاء المكرة الخبثاء هذه العلاقة التي ظهر فيها الاستاذ بمظهر العبد الرقيق للسيد المطاع ، خدمة منه للاسلام والمسلمين وتطوعا للدفاع عن الدين الحنيف ، وهو يعتقد من صميم قلبه ان ابن سعود غير جدير منه بهذا الخضوع ، ذريعة لأن يلوكوا بالسنتهم ما تذيعه العامة الجهلاء عن اكياس الذهب وقناطير الفضة التى يدرها ابن سعود على المنار وصاحب المنار اجر دفاعه عنه وعن الاسلام . تعالى الاستاذ عن ذلك علواً كبيراً . وهذا لعمرى دليل واضح على أن الاستاذ قد جمع الى حكمة الدين ، لباقة السياسة التى يتطلبها العيش فى الدنيا . ابقاه الله واسعده أبد الآبدين ، ودهر الداهرين ، الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

قال الاستاذ لافض فوه :

« وقد أخبرنا من خبر حالهم ، وعاشر رجالهم ، بطرق الدعوة التي يفتنون بها الشبان عن دينهم ، ولا سيما الاذكياء الفصحاء منهم ، وسنبينها فى مقال آخر . ومما بلغنا من امرهم انه لم يكن لهم نظام للدعاية الى عهد غير بعيد ثم وضعوه » — مرحى . مرحى — « ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون » .

قال الاستاذ بلغه الله مناه ، وجعل الجنة مثواه :

« ولما ألفت فى مصر جمعية الشبان المسلمين ، عارضوها بتأليف (جمعية الشبان المصريين) لاجل القضاء عليها بدعاية الوطنية ، قبل ان تشب عن الطوق ، وتشب نارها ، فلا يكون لهم بها طوق ، ولكنهم لم يقاوموا جمعية الشبان المسيحيين بقول ولا عمل . بل وجد فيها من يكبر شأنها ، ويلقى المحاضرات فى ناديها » .

نقول — والعلم عند الله والاستاذ — إن الذى كون جمعية الشبان المسلمين اعضاء من الحزب الوطنى حزب الاسلام والمسلمين ، فاراد ان يعارضهم اعضاء من الوفد سياسياً (بجمعية الشبان المصريين) ولقد كشف لنا الاستاذ عن سر من الاسرار الخفية التى احتجبت وراء هذه الدعوة ، فاظهر لنا الوفد فى ثوبه الصحيح . وعلى رأسه الاستاذ النحاس المصلى الصائم الراكع الساجد القانت القائم الليل واطراف النهار . فللاستاذ من الامة الشكر على كل حال .

وبعد ان مضى الاستاذ فى مقارنة طويلة عريضة بين تجديد المجددين فى أوروبا وتجديد الملحدين فى مصر والشرق ، اثبت هذه الالفاظ الذهبية التى هى جديرة بان يحفظها عن ظهر قلب كل متعلم لتكون له فى ادب المناقشة مقياساً . وللاستزادة من علم الاستاذ نبراساً .

« واما ملاحدة بلادنا ودعاة الكفر والاباحة فيها ، فالتجديد الذى يدعون اليه هو هدم كل ما يربط الأمة ويشد ازرها ، ويجمع كلمتها ، ويهذب اخلاقها من روابط الدين ، والمحافظة على العرض ، ويسمون الكفر والفجور واباحة الاعراض تجديداً طريفاً ، ومدنية وتقدماً وترقيا ، ويسمون ما يقابل ذلك من التقوى والعفة والصيانة قديماً بالياً ، وقد استشرى عبثهم وفسادهم وعظم خطرهم بكثرة الجرائد والمجلات التى

ينفثون فيها سمومهم ، على صغر شأنهم ، وسوء سيرتهم الشاف عن خبث سريرتهم ، فانه لا مزية لاحد منهم فى علم نافع ، ولا عمل صالح ، وانما هى خلابة الالفاظ التى وافقوا فيها اهواء كبار الفساق وصغار الاحداث ، وأن اهل الرأى والبصيرة عندنا يجزمون بان زعزعة العقائد وفساد الاعراض و إباحة النساء يناط بفساد اكثر الجرائد والمجلات ، . . . وهكذا والله تكون اخلاق المتأدبين بأدب القرآن الكريم ، لا كل « هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد اثيم ، عتل بعد ذلك زنيم » من ملاحدة هذا العصر .

غير ان الاستاذ — نفعنا الله بعلمه وأدبه — قد نسى أن من أولئك الملاحدة فئة تتعمم و تلبس الجبة والقفطان ، وتتمنطق باحزمة الخز والديباج ، وتبالغ فى تكبير العمامة حتى يصير عندحد قول حافظ — كالبرج لكن فوق تل نفاق — مبالغة فى الاثم والعدوان و اخفاء لأمرها ان يعرف ، وسرها ان يكشف ، فتحارب الدين باسم الدين ، وتقاوم الاسلام باسم الاسلام ، سراً لا علناً ، واستخفاء لا جهراً ، وهؤلاء والله يا سيدى الاستاذ لاكثر شراً ، وألام نفساً ، وأشد فساداً ، وأعظم إثماً ، عليهم وعلى الملاحدة المجددين اللعنة الأبدية .

واظن ان الاستاذ لايزال يذكر منهم شيخا ، معمما ربعة القوام ابيض الوجه عريض المنكبين يمشى الهوينا — كما يمشى الوجى الوجل — لا خشية من الله ، ولكن خيلاء واسرافاً ، وكان يجلس الى طاولة معروفة وفى مكان معروف بقهوة « سبلندد بار » وهى لا تزال قائمة الى اليوم ، ومحله منها لايزال مسوداً بالخزى اعاذنا واعاذه الله ، فاذا ما استوى فى مجلسه اجتمع من حوله جماعة من المرد الوسماء ، حتى اذا انتصف الليل قام ومعه منهم جمع ، لا للمسجد ولا للمحراب ، ولكن للذة « يباشرها أو تباشره » .

افلا تعتقد ياسيدى الاستاذ أن هذا الشيخ وأمثاله شر على الاسلام والمسلمين ، من ملاحدة المجددين ؟

وانى لارجو أن يوفقك الله فى خطواتك السديدة ، وان يزيدك من فضله ، ان الفضل لله يهبه من يشاء ، وهو العزيز الحميد .

٢ - مجلة المقتطف عدد يوليو سنة ١٩٢٩ من مقال تحت عنوان « الله والعالم » وهي خطبة مطوية للدكتور صروف رحمه الله

« الذين ذهبوا إلى معرض باريس رأوا هنالك آلات مختلفة الأشكال والصفات. رأوا آلة تطحن القمح وتعجنه وتخبزه ، وأخرى تبل التبغ وتفرمه وتنسقه ، وأخرى تطبع الورق وتطويه وتخيطه إلى غير ذلك ، فذهلوا عن أنفسهم وقالوا ما أحكم الانسان وما أعجب ما وصل اليه . ولو حاولت اقناعهم بأن هذه الآلات وجدت من نفسها أي ان رقائق الحديد و رقائق الخشب تجمعت وتركبت فصار بعضها عوارض وبعضها مخارز وبعضها دواليب وبعضها أساطين إلى غير ذلك من الأجزاء المختلفة الأقدار والهيئات ، ثم تركبت على أوضاع خاصة فتألفت منها تلك الآلات العجيبة، ثم أن هذه الآلات جذبت إليها الفحم من طبقات الأرض ، وأضرمت فيه النار وملأت جوفها من مياه الينابيع فسخن الماء بحرارة النار فصار بخاراً و رفع الأساطين التي فوقه فارتعت وأدارت الدواليب الكثيرة وحركت الأدوات المختلفة فتسبب عنها طحن القمح وعجن الطحين وخبز العجين وطبع الورق و بل التبغ الخ وقد جرى كل ذلك ولم تدخل فيه يد الانسان — لو صرحت لهم بهذه النتيجة — لعدوك مجنوناً أو هاذراً . بل من تراه يسلم بذلك وأي عقل يعتقد به ، سخيفاً كان أو ثقيفاً . أيمكن أن توجد هذه الآلات من نفسها ؟ أيمكن أن تختار هذه الأوضاع بلا صانع قادر على صنعها ؟ كذلك العقل والنقل لا يسلمان بذلك . العقل والنقل يرفضانه . واني لأرى التصديق بأن واحداً و واحداً سبعة . أيسر من أن المطبعة وجدت من نفسها الطبيعة ، والتصديق بأن واحداً و واحداً سبعون أقرب من التصديق بأن الآلة البخارية التي تسير السفن الكبيرة وتقضي بأكثر مصالح الانسان وجدت من نفسها .

« لكن ما هذه الآلات بالنسبة إلى أصغر الحيوانات التي لصغرها لا تراها العين والتي لو جمع ألف حيوان منها معاً ما بلغ جرمها كلها جرم الخردلة الصغيرة ؟ ما هذه الآلات بالنسبة إلى العفن الذي تراه مذروراً كالرماد الأخضر ؟ وإذا نظرنا اليه بالميكرسكوب رأيناه غابات من الأشجار وكلها تحيا وتنمو على صورة تصرت عقول البشر عن إدراك كنهها ؟ من يتحاسر فيقول إن هذه الحيوانات وهذه النباتات وجدت هكذا

من نشء الطبيعة ؟ ولكن ماهذا بالنسبة إلى الحيوانات الكبيرة ذات الأيدى والأرجل والعيون والآذان ؟ أين آلات البشر من جسد الانسان ؟ من عينيه ذات الطبقات العديدة والتراكيب العجيبة ، فلو جمعت كل آلات البشر شرقاً وغرباً ما ساوت كلها عيناً واحدة فى الاتقان والغرابة . ولو اجتمع كل علماء الأرض وصناعها وأرادوا أن يصنعوا عيناً باصرة كعين البعوضة ، وصرفوا عمرهم كله فى هذا العمل إلى ان حانت منيتهم لجثتهم فى آخر حياتهم ، وقد رموا آلاتهم فى النار وقالوا كلهم عجزنا عجزنا ؟»

وقد ذكرتنى هذه القطعة بأخرى اثبتها العلامة داروين فى الفصل السادس من كتابه أصل الأنواع آثرت نقلها هنا اتماماً للفائدة و دليلا ندحض مزاعم الذين يقولون ان النشوء لزام الالحاد (١)

وليس من الهين فى هذا المقام أن نتنكب مقارنة نضعها بين العين والمنظار المقرب للاشباح — تلسكوب — فاننا نعلم أن هذه الآلة لم تصل إلى ما هى عليه من الكمال إلا بعد أن أفنى كثير ممن نعتبرهم صفوة العقول البشرية جهودهم فى سبيل تحسينه . ونحن بالطبع مسوقون إلى القول بأن العين قد تكونت بطريقة مشابهة لتلك الطريقة. ولكن ألا يكون ذلك القول محض اعتبار تصورى ؟ وهل لنا أن نخطر بقولنا خطرة من الظن بأن الخالق العظيم يدبر الكائنات بقوة عقلية مشابهة لقوة الانسان ؟ أما إذا لم يكن بد مما ليس منه بد ، ومضينا فى مقارنة العين بآلة مبصرة ، أنبغي لنا أن نكون بقوة الوهم صورة طبقات مترا كمة من أنسجة مشفة ، بين بعضها وبعض مادة سائلة ؛ ومن وراء ذلك جهاز عصبى كاشف للضوء حساس له ، ثم نفرض من بعد هذا كله أن كل جزء من أجزاء هذه الطبقات ماض فى سبيل التغاير من حيث ثقله النوعى وكثافته ، مستمر فيه ببطء عظيم ، متجهة تلك الأجزاء نحو التمايز بالانفصال بعضها عن بعض إلى طبقات مستقلة يختلف ثقلها النوعى كما تختلف كثافتها . ثم تأخذ أوضاعاً فى أبعاد متناسبة ! فى حين أن سطح هذه الطبقات يكون ممعناً فى سبيل التغاير من حيث الصورة والشكل . ثم نقول إن من وراء ذلك كله « قوة » نمثلها لأنفسنا باصطلاحات نضعها كالانتخاب الطبيعي أو بقاء الأصلح ، ملاحظة بعين المجاز كل تحسين أو تهذيب

(١) راجع ص ٢٥٥ من الجزء الثانى من أصل الأنواع (الطبعة العربية)

وصفي يطرأ على تلك الطبقات المشفة ، ماضية ، حين تأثر هذه الطبقات بمختلف الظروف التي تحوط بها ، في الاحتفاظ بكل شكل من أشكال التغاير ، ايا كانت وسيلته ، ومهما كانت درجته ، متي كان من شأنه الكشف عن الأشباح بصورة أكثر دقة. ومن ثم نفرض أن كل حالة تتمشى فيها تلك الآلة نحو الكمال قد تتكرر مليوناً من المرات تبقى في كل مرة منها محتفظة بكيانها زماناً ثم تزول ، بعد أن يجد في التراكيب العضوية غيرها أقرب إلى الكمال رحمة . فان التغاير في الأجسام الحية ينتج ارتقاءاً ضئيلا يتضاعف أثره جيلا بعد جيل إلى ما لا نهاية له ، في حين أن الانتخاب الطبيعي يكون إذ ذاك مجداً دائباً على الاحتفاظ بكل تهذيب يحدث بعين لا تأخذها سنة ولا نعمة لا يعرفها الكلال . دع تلك القوة تؤثر في همودها وسكونها تأثيرها الدائم مليوناً من السنين ، متخذة في كل سنة ملايين من أفراد العضويات المختلفة موضعاً تبرز فيه نتائجها ، أفلا نعتقد بعد هذا أن آلة مبصرة حية من المستطاع أن تكون قد استحدثت على مر العصور بحيث تكون نسبة الفراق بينها وبين العدسة الزجاجية ، كنسبة الفرق بين تدبير القوة الخالقة العظيمة ، وبين الصناعات البشرية ؟

* * *

٣ — عن المقتطف شهر يوليو سنة ١٩٢٩ من مقال بقلم الدكتور أبو شادى تحت عنوان في سبيل العربية — مابين الجمود والأصلاح .

« لعل من خير الأنسانية أن تكون لها لغة واحدة ، ولعل اللغة العالمية التي سوف تكون لها الغلبة هي الأنجليزية — لسان العالم الجديد : مقر أسمى حضارة عرفها البشر ، ولسان الأمبراطورية الأنجليزية ، ولسان التجارة الدولية ، ولسان الثقافة والتعامل في شعوب ناهضة : كثيرة كاليابان والصين والهند. بيد أنه من خيال الخيال أن نتصور إمكان القضاء البات على اللغات القومية مادامت هذه اللغات وليدة معارف وحضارات وعقائد مجلة . وغاية مايسوغ لنا العقل تصوره إمكان ذيوع لغة ظاهرة ذيوعا كافياً لتكون اللسان الأول للحضارة العالمية ، فيصبح تعلمها فرضاً على جميع الشعوب المتحضرة ، دون أن يتعارض ذلك وواجبات تلك الشعوب نحو لغاتها الخاصة بها .

وقد ذكرت آنفاً أن اللغة الأنجليزية مرشحة قبل سواها (ولا أستثنى الفرنسوية) لتبوء هذه المكانة ، وربما نالتها قبل شروق القرن التالى . وقد اصبحت الأنجليزية بما تستوعبه من شتى العلوم والفنون والآداب كنزاً وفيراً لانفس معارف الأمم ، وصار التبحر فيها مغنياً فى معظم الأحوال عن الألسنة الأوروبية الأخرى . ولكنه برغم ذلك لم يعرف قديماً ولا حديثاً عن أمة من الأمم التابعة للتاج البريطانى انها استغنت بهذه اللغة السهلة المرنة الزاخرة بالعلوم والفنون والآداب ، عن لسانها القومى الرؤوم. ذلك لأنها تحس أنه وحده مستودع أسرارها وأحلامها وآلامها » .

« هذا مثل نسوقه لنسوغ به تعلقنا (لا من جانب العاطفة وحدها ، بل من جانب المنطق أيضاً) بلساننا القومى ، دون أن تكون فى هذا التعلق مسكة من التعصب المشين ولا أية مضادة لنزعتنا العالمية . وما من شك فى أن اللغة العربية — وريثة الكثير من اللغات القديمة ، — قد برهنت على استطاعتها أن تتكيف فى أقطارشتى لهجاتها وتعابيرها ذلك التكيف العجيب الذى يجعل حتى من صورتها الفصحى السنة ومية متعددة لافارق بينها إلا فى مايسبغه عليها الذوق المحلى من ألوان التعبير وما يكسبها من جرس خاص ترتاح اليه كل أمة تتخذها لسانها القومى » .

* * *

٤ـ مجلة الهلال عدد شهر يوليو سنة ١٩٢٩ من مقال تحت عنوان التنمية أو أكل لحوم البشر (كانيبالزم) بقلم محمود سامى .

الأيحاء قوة نفسية عجيبة تعرف بمظاهرها ويتعذر تعليل أسبابها . فالذى يعيش فى أرض تكثر فيها الأفاعى ويعتاد قتل الكثير منها يصبح قتل الأفاعى فى نفسه أمرا يدفعه اليه الأيحاء . والجندى الذى يشترك فى حرب تطول مداها يكون أرغب فى القتل من غيره . ومن يفكر فى ارتكاب جريمة . لا يرتكبها بمجرد التفكير فيها ، بل ينفذها عندما يبلغ به التفكير فيها درجة الايحاء وقد يرتكبها ببساطة طبيعية ولو كانت أشنع الجرائم .

وكاتب هذا المقال يعلل التنمية كما دعاها — بانها شىء تدفع اليه الضرورة وما ضرورة ذلك الا الجوع . يقول :

« قد تدفع الظروف بالمرء إلى حيث يتعذر عليه وجود الطعام فيدفع الجوع إلى أن يقتات باول شيء يصادفه . والجوع لا يعرف الرحمة ونداء المعدة تختفي معه العواطف وتفر منه حتى انسانية بنى آدم » — وعلى هذه الوتيرة يسير فى تعليل أكل لحوم البشر والاعتياد عليه . فى حين أن الأرجح ان لا سبب لهذه الظاهرة إلا الايحاء الذى تخلقه العادة أولا ثم يصير من بعد ذلك شيئاً ضرورياً من مقومات الحياة ، فيلوح لمن لم يرجع إلى أصله كأنه شيء طبيعى تدفع اليه دوافع طبيعية

* * *

٥ ـ مجلة المشرق التى تصدرها ادارة آباء كلية القديس يوسف عدد يوليه — ١٩٢٩ — من مقال بعنوان « قس بن ساعدة » — ماذا نعرف عنه — بقلم ميشيل سليم كيد

من خطب قس بن ساعدة

« أيها الناس : اسمعوا وعوا . واذا وعيتم فانتفعوا . أنه من عاش مات . ومن مات فات . وكل ماهو آت آت ، مطر ونبات ، وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات ، وأحياء وأموات . وجمع وشتات . وآيات بعد آيات . ألا إن أبلغ العظات السير فى الفلوات . والنظر إلى محل الأموات . إن فى السماء لخبراً . وأن فى الأرض لعبراً » .

ولا شك عندى مطلقاً فى أن قوله « ألا أن أبلغ العظات السير فى الفلوات والنظر إلى محل الأموات » — مدسوسة على قس ، فانها من أول الخطبة « كالبقعة الخراب فى صور الجغرافية » كما يقول الاستاذ صادق الرافعى . وإنى لأذكر مكان هذه القطعة قطعة أخرى حفظناها ونحن فى المدرسة هى أكثر اتساقا ولب الخطبة من هذا الكلام البور وفيها يقول « يامعشر إياد ، أين الآباء والأجداد ، وأين الفراعنة الشداد . أين من بنى وشيد ، وانث ونجد . أكلهم الدهر بكلكله ، ومزقهم بتطاوله ، فتلك أجسامهم بالية ، وبيوتهم خاوية ، عمرتها الذئاب العاوية » .

ويزيد بعض النساخ على هذه الخطبة قوله

« أقسم قس قسما : لا خائنا فيه ولا آثما . ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه ، ونبياً قد آن أوانه ، وأظلكم إبانه . فطوبى لمن آمن به فهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه » .

ومنزلة هذه القطعةمن الانتحال أرجح عندى من منزلة الأولي

ثم أنشأ يقول :

فى الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردآ للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها يمضى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضى ولا يبقى من الباقين غابر
ايقنت انى لا محالة حيث صار القوم صائر

ومن خطب قس النفيسة :

« أيها الناس ! شارفوا بابصاركم فى كر الجديدين ثم ارجعوها كليله عند بلوغ الأمل.فان الماضى عظة للباقى (١) ولا تجعلوا الغرور سبيل الفخر فتنقطع حجتكم فى موقف الله سائلكم فيه ومحاسبكم على ما أسلفتم . أيها الناس ! أمس شاهد فاحذروه واليوم مؤدب فاعرفوه، وغداً رسول فاكرموه .وكونوا على حذر ، من هجوم القدر ، فان اعمالكم تطلق أبدانكم والصراط ميدان يكثر فيه العثار فالسالم ناج والغابر فى النار »

ولم يعرف أن قساً وصف مابعد الموت ولكن أمية بن أبى الصلت معاصر قس ومن فرسان اياد المعدودين له ما يأتى

فكل معمر لا بد يوماً وذى دنيا ، يصير الى الزوال
ويفنى بعد ،جدته ويبلى سوى الباقى المقدس ذى الجلال
وسيق المجرمون وهم عراة الى ذات المقامع والنكال
فنادوا : ويلنا ويلا عظيما وعجوا فى سلاسلها الطوال
فيلسوا ميتين فيستريحوا وكلهم بحر النار صال
وحل المتقون بدار صدق وعيش ناعم تحت الظلال
لهم ما يشتهون وما تمنوا من الأفراح فيها والكمال

وعندى أن البيت الأخير فى غاية الضعف لايتسق وبقية القصيدة مطلقاً . وقس أول من أفتتح الخطابة بكلمة « أما بعد » . ومن مأثور قوله :

---

(١) من أحكم ماقيل وأبلغ ماسمع

« من فاته حسب نفسه ، لم ينفعه حسب » .

« البينة على المدعى ، واليمين على ماأنكر » .

ومن خطبه الذائعة قوله :

« أيها الأشهاد ! أين ثمود وعاد ، أين الآباء والأجداد . اين ذهب أبرة ذوالمنار ، وعمرو ذو الأذعار ؟ هل تدرون ماصار اليه عبادة الفتاح ، وأذنية الصباح ، وجذيمة الوضاح ؟ غزوا فقهروا ، ونهوا وأمروا . وجددوا المصانع والآثار ، وجدولوا الأنهار ، وغرسوا الأشجار ، . واستخدموا الليل والنهار . فهجمت الآجال . دون الآمال . ألا وأن كل شيء إلى الزوال » .

ثم أنشأ يقول :

قد كنت أسمع بالزمان ولا أرى ... ان الزمان يطيق تنف جناحى
فأراه أسرع فى حتى أصبحت ... بيضاً متون عوارضى وصفاحى
وأنا الكبير لنسبة فى قومه ... هيهات ! كم ناسمت من أرواح
صافحت ذا جدن وأدرك مولدى ... شمر بن عمرو ، يتقي بالراح
والقيل ذو يزن رأيت محله ... بالقهر بين جنادل وصفاح
فتك الزمان بملك حمير فتكة ... تسعى بكل عشية وصباح
أودى أبو كرب ، وعمرو قبله ... وأباد ملك أذينة الصياح (١)

* * *

وغدا بابرهة المنار فأصبحت ... أيامه ، مسلوبة الأصباح

* * *

لاتمس فى شك المنون ، أماترى ... أيامه مشهورة الأيضاح
لاتأمنن مكر الزمان ، فانه ... أردى الزمان بشمر الوضاح
برك الزمان على بن هاتك عرشه ... وعلى أذينة ، سالب الأنواح
أفبعد أملاك مضوا من حمير ... يرجي الفلاح ، ولات حين فلاح

---

(١) فى الأصل الذى نشرته المشرق يقول « أذينة الوضاح » ، وهو خطأ واضح حتي من سياق الخطبة ذاتها .

من ذا تصافق كفه كف الردى يشرى التقى ، عن بيعة الأرواح

* **

يقول كاتب هذا المقال

و مما يلصق بقس ، بعض كلمات حكيمة زعموا أنه قالها لقيصر حين وفد عليه مرة فقال له قيصر :

ما أفضل العلم ؟

— معرفة الرجل نفسه .

ما أفضل العقل ؟

— وقوف المرء عند علمه .

ما أفضل الأدب ؟

— استبقاء الرجل ماء وجهه

ما أفضل المروءة ؟

— قلة رغبة المرء فى اخلاف وعده .

ما أفضل المال ؟

— ما قضى به الحق .....

يقول الكاتب — إنها كلمات على جانب عظيم من الحكمة والعقل. كلمات حوت أثمن النصائح ، لا نظن أن قساً قائلها ، ولا شك أن العرب اتهموه (١) بها لما أطلعوا على آداب الاغريق ، فأراد الزعم بوجود حكيم عندهم يماثل ديوجينيس فى اجابة الرد الحكيم ، ولم يجدوا مرتعاً أخصب من قس ، فألوا هذه وكفنوه بها »(٢)

ولست أدرى أى دليل يستند اليه الكاتب فى مذهبه هذا . و لا نظن أن العرب فى جاهليتهم يعجزون عن مثل هذه الأجوبة ، وكان منهم مثال قس ، اسقف نجران، و زهير بن أبى سلمى وسحبان وائل والمهلهل والمقنع الكندى وامرىء القيس وأعشى ميمون والحارث بن حلزة اليشكرى و طرفة العبد وغيرهم . فلماذا تكون هذه الأقوال الحكيمة لليونان و لا تكون للعرب . ؟

---

(١) أسخف التعبيرات وأبعدها عن المقصود (٢) ياحفيظ يامغيث !